# "وأنتم تكونون لي مملكة من الكهنة"
## (خر ١٩: ٦)

**الأخت روز أبي عاد**
دكتورة في لاهوت الكتاب المقدّس

### مقدّمة

يرينا خر ١٩ الشعب في سيناء، أي بعد خروجه من مصر، وقبل إبرام العهد مع الله. لقد سبق وخاصم الشعبُ الربَّ وموسى في مَسَّة مَريبة (خر ١٧: ١-٧)، لكنّ الربّ أظهر لهم أمانته مرّة جديدة، وها هو الآن يعقد معهم عهدًا مجّانيًّا ليرتبط بهم، عِلمًا أنّه ليس لهم أيّ استحقاق بحيازته. إنّه على أهبّة الاستعداد ليغدق عليهم نعمه، هو الذي لم يفارقهم البتّة منذ هروبهم من مصر وحتّى وصولهم إلى سفح جبل سيناء. يرتبط الربّ بهم بطريقة خاصّة، وباحتفال مهيب. لقد حان الوقت لأن يقبل الشعب خيار الله بحرّيّة، فيصير خاصّته إلى الأبد. أمّا العهد فيقوم على أن يسمع الشعب كلام الله ويلتزم به؛ فإذا أتمّ الشروط التي يفرضها الله عليه، يمكنه أن ينعم بالوعد بأبعاده الثلاثة: يكون شعبًا يتمتّع بامتيازات، ومملكة من الكهنة، وأمّة مقدّسة.

### ١ – مملكة من الكهنة في العهد القديم

يُقسَم خر ١٩ إلى ثلاثة أقسام: آ ١-٦ هي بمثابة مقدّمة يبرز فيها كلام الله الى العبرانيّين بواسطة موسى؛ وتشكّل آ ٧-١٥ القسم الثاني، وتقوم على الاستعداد المطلوب من العبرانيّين قبل حضورهم أمام الربّ في سبيل إقامة العهد؛ أمّا القسم الثالث المؤلّف من آ ١٦-٢٥ فيصف التجلّي الإلهيّ ببهائه وعظمته على جبل سيناء. الجدير بالذكر أنّ الفصل ١٩ بأسره يبدو كأنّه تمهيد للحدث الكبير الذي سيرد في الفصل التالي، والقائم على إعطاء الوصايا العشر من الله للشعب [١].

بالعودة إلى القسم الأوّل، فالآيات ١-٣ تكوّن الإطار التمهيديّ للخطاب الإلهيّ الذي سيوكل الله أمر إيصاله إلى موسى، ومنه إلى الشعب؛ وتحظى آ ٤-٦ بأهمّيّة كبرى إذ تشكّل لبّ ما يريده الله من إقامة عهد مع الشعب. من على الجبل قال الله الكلام الأكثر أهمّيّة في العهد القديم؛ إنّه يعبّر عن حبّ الخالق الذي يتعذّر على الإنسان أن يسبر غوره، ربّما يتضمّن كلّ ما يبغيه من العهد التيوقراطيّ: "كذا تقول لآل يعقوب وتخبر بَني إسرائيل: قد رأيتم ما صنعتُ بالمصريّين، وكيف حملتكم على أجنحة النسور وأتيت بكم إليّ. والآن، إن سمعتم سماعًا لصوتي، وحفظتم عهدي، فإنّكم تكونون لي خاصّة من بين جميع الشّعوب، لأنّ الأرض كلّها لي. وأنتم تكونون لي مملكة من الكهنة، وأمّة مقدّسة. هذا هو الكلام الذي تقوله لبني إسرائيل" (خر ١٩: ٣-٦). تبلغنا هذه الكلمات عدّة حقائق، أهمّها:

– تاريخ العبرانيّين هو دليل على أمانة الله لعهده بإنقاذهم من أيدي أعدائهم، وبحرصه على الاعتناء بهم العناية الخاصّة [٢]. يستعمل الله هنا صورة رائعة تعود إلى عناية النسر

(١) من هنا لا يمكننا أن نقدّر أهمّيّة الوصايا كما يجب إلاّ إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يرد في الفصل ١٩.

(٢) في الآية الرابعة يذكّر الله العبرانيّين بالتفاوت الشاسع بين مصيرهم، إذ حملهم على أجنحة النسور، ومصير المصريّين الذين هلكوا.

بفراخه [٣]، أجمل بها من صورة لعناية الربّ العطوف والشفوق بشعبه [٤].

– لقد حرّر الله شعبه قصد أن يكون خاصّته، فتكون الأمّة بأسرها ملكًا له، وتخدمه كأمّة كهنوتيّة. كان الله يهدف من توطيد شعبه إلى أن يلعب دور الوسيط، أي أن يكون نورًا للأمم من خلال مشاركتهم للدخول في إلفة معه [٥].

– بغية صيانة هذه المكانة المميّزة، كان على العبرانيّين أن يبقوا أمناء على العهد؛ فدعوتهم تتضمّن الامتياز والمسؤوليّة على حدٍّ سواء [٦]. هكذا، إذا أراد هؤلاء التمتّع بإلفة الله وخدمته بصفتهم ممثّلين لدى الأمم، كان عليهم أن يعكسوا قداسته ونقاءه، وبالتالي، أن يحظَوا بالوصايا، أي أن يتميّزوا عن الأمم، وأن يتشبّهوا بالله، لكي يتمكّن من تأدية دعوتهم الكهنوتيّة.

أن يُلقِّب الربّ شعبه بـ"المملكة" يعني أنّه يقول لهم إنّه هو الملك عليهم [٧]. هذا يعني أنّه، من ناحية، يحرّرهم من أيّ استبداد أو ظلم بشريّ، ومن ناحية ثانية، يحميهم من الانزلاق في الاضطراب الناتج عن فقدان النظام. وحدها سلطة الله تؤمِّن للشعب الحرّيّة الحقّة التي لا تعني إطلاق العنان للاستقلاليّة دون أيّ امتثال للأعراف والمسلّمات، بل، عكس ذلك، تلتمس منهم الالتزام الداخليّ، وتدعوهم إلى الاتّحاد به.

أمّا أن تتّصف هذه المملكة بـ"الكهنوتيّة" فهذا يعني أن يكون الشعب بأسره مدعوًّا للتكرّس لخدمة الله، ولتمميم المهام المتعلّقة بهذه الخدمة. ألم يكن هذا معنى الدعوة الملحّة في سفر الخروج، أن "أطلق شعبي ليعبدني" [٨]؟ فالكهنة، بصورة جوهريّة، هم موقوفون للخدمة المقدّسة، وللقيام بالمهام الليتورجيّة التي توحّدهم بالله.

يؤكّد الربّ لشعبه العزّة التي سيمنحه إيّاها، واللطف الذي سيريه إيّاه، في حال أنّه حافظ على العهد (آ ٥، ٦)، فسيكون خاصّته من بين جميع الشعوب؛ هو يعبّر عن وعده بكلّ ما يمكن أن يحتويه من السعادة أنّه "يكون لهم إلهًا، وأنّهم يكونون له أمّة"؛ فكلّ شعوب العالم أصلاً تنقاد له [٩]، ولكن لا بدّ له من أن يختار خاصّته، ويتعامل معهم بسلطة. هو يخصّص العبرانيّين لذاته، كشعب عزيز عليه، ككنز خاصّ به، علمًا أنّه ليس سبب غنى له، كما هي حال أيّ إنسان بمقتنياته، ولكنّه حَسُنَ له أن يُعطيه كرامة وتقديرًا، كما يفعل أي إنسان بكنزه، إذ قد صار كريمًا في عينيه ومجيدًا (أش ٤٣: ٤)؛ فلقد تعلّق الربّ بحبهم واختارهم

(٣) ترد الصورة بإيضاح أكبر في تثنية الاشتراع: "كالنسر الذي يغار على عشّه وعلى فراخه يرفرف. يبسط جناحيه، فيأخذه وعلى ريشه يحمله" (٣٢: ١١)؛ ما يميّز العقبان هي أنّها تحمل صغارها على أجنحتها، فتشكّل لها حماية فائقة؛ وإذا أطلق احدهم الرماية على العقاب، تطاله هو مباشرة، وتظلّ الفراخ بمنأى عن الخطر. هكذا فإنّ عمود الغمام والنار الذي يرمز إلى حضور الله بين شعبه قد شكّل خطّ دفاع لا يُخرَق بين الإسرائيليّين ومطارديهم، وحائطًا لا يمكن أن يُثقَب.

(٤) ليس هذا فحسب، فقد وفّر الله لشعبه طريقًا آمنة ورافقهم طيلة مسيرتهم. وقد تجلّت قمّة حمايته لهم حين أوصلهم ليس الى بلد من الحرّيّة والعزّة، بل إلى إقامة عهد وشراكة معهم. وهذا ما شكّل فخر خلاصهم، إذ إنّ كلّ ما كان يصبو إليه هو أن يجذبهم إليه، هم الشعب المتمرّد والعاصي، فيكونوا سبب سروره.

(٥) عندما أقام الله عهدًا مع إبراهيم، أغدق عليه البركة ووعده بأن يجعله أمّة كبيرة، لا بل ستتبارك به جميع عشائر الأرض (رج تك ١٢: ٢–٣).

(٦) "الذي أعطي الكثير يُطلب منه الكثير" (لو ١٢: ٤٨).

(٧) أكثر من مرّة وردت فكرة مُلك الله في العهد القديم؛ رج قض ٨: ٢٢–٢٣؛ ١ صم ١٢: ١٢؛ مز ٢٤: ٧–١٠؛ أش ٦: ٥؛ ٤٣: ١٥؛ إر ١٠: ١٠.

(٨) رج خر ٧: ١٦، ٢٦؛ ٨: ١٦؛ ٩: ١؛ ١٣؛ ١٠: ٣؛ نجد صدى لهذه اللازمة في أش ٤١: ٨–٩؛ ٤٢: ١٩؛ ٤٣: ١٠؛ ٤٤: ١–٢، ٢١؛ ٤٥: ٤؛ ٤٨: ٢٠؛ ٤٩: ٣؛ ٥٤: ١٧؛ إلخ.

(٩) يُشير التأكيد "الأرض كلّها لي" (خر ١٩: ٥)، إلى أن الربّ يسود ليس فقط على البشر، بل على سائر مخلوقات الطبيعة وعواملها على حدٍّ سواء.

(تث ٧: ٧)، وأحاطهم بعناية خاصّة كالكنز الذي يوضع في مكان يوحي بالأمان والطمأنينة. لقد ميّزهم بالوحي الإلهيّ، وزوّدهم بالطقوس الدينيّة، وأرسل لهم الأنبياء، وأفاض عليهم روحه، وكرّمهم فوق جميع الشعوب، ليجعل منهم شعبًا خاصًّا به (تي ٢: ١٤)، مكرَّسًا له، مؤدّيًا له الإكرام، وقائمًا على خدمته (آ ٦)، مملكة من الكهنة وأمّة مقدّسة[١٠].

قد يجوز أن تُفهَم العبارة "مملكة من الكهنة"[١١] أنّها مملكة يسوسها الكهنة. لقد عرف شعب العهد القديم هذا النوع من القيادة خلال فترة إقامته في الصحراء حيث كان موسى وهارون يعطيانه التعليمات، ولكنّ "مملكة من الكهنة" تعني أنّ الجميع، من الصغير إلى الكبير، هم كهنة. فكيف يمكن فهم هذا الكلام؟ من ميزات الكهنة اللاويّين الذين اختارهم الربّ لخدمته أنّه ليس لديهم ممتلكات في هذا العالم المادّيّ، لأنّ الربّ هو نصيبهم؛ وعليه فالمملكة الكهنوتيّة تعني أن تُنظَّم الأمّة بأسرها، وكأنّ الأرض كلّها وكلّ ما يعود إليها تكون مكرَّسة للربّ؛ فلا يعود أيٌّ فرد يعمل سوى للمحافظة على وصايا الربّ ولإرضاء احتياجات قريبه، لدرجة أنّه لن يقلق أيّ كان على ذاته. وهكذا فإنّ عبارة "مملكة من الكهنة" تتمحور حول "أحبب قريبك كنفسك"، ويُقصَد بها مملكة مكوّنة من كهنة نصيبهم الربّ، ولا يملكون أيّ أمر خاصّ من بين سائر الممتلكات المادّيّة.

"مملكة من الكهنة" تفترض أن يكون الشعب كلّه رسولاً، فيعلن للأمم عن وحدانيّة إلهه وعن عهده به. إذًا لن يعود بإمكانه أن ينغلق على ذاته، بل عليه أن يزفّ خبر العهد إلى الأمم؛ فالتصرّف الكهنوتيّ يعني أنّه عليه أن يعرّف الربّ إلى الأمم. هذا ما يقوله أشعيا عن الشعب الكهنوتيّ: "أمّا أنتم فتُدعَون كهنة الربّ، ويقال لكم خَدَمَةُ إلهنا" (٦١: ٦). يا لها من مهمّة جسيمة أمام الله وأمام البشر! فهي تقوم على عبادة الربّ باسم الجميع، ورفع الصلوات والتقادم والتسابيح والتضرّعات من أجل العالم كلّه.

"مملكة كهنوتيّة" تفترض أن يكون الشعب كلّه شاهدًا لما صنعه له الربّ (أش ٤٣: ١٠)، وبالتالي أن يكون نورًا للأمم[١٢].

"مملكة من الكهنة" تفترض أن يكون الشعب كلّه مقدّسًا، أي أن يعيش في حميميّة مع الربّ، ورسالته تكمن في إظهار هذه الحميميّة إلى الأمم؛ فالقداسة في العهد القديم تعني الوضع على حدة أو العزل بغية غاية ما، ألا وهي الاقتراب من الربّ وخدمته عن كثب، كونهم مقرَّبين إليه (مز ١٤٨: ١٤)؛ فالقرابة الحميمة تجمعهم إليه وتوحّدهم به. وعليه، فالقداسة هي هبة من الله وبركة من لدنه، وليست ميزة يكتسبها الشعب لدى تطبيق ما يفرضه العهد على أكمل وجه. هذا هو الكنز الذي على شعب العهد القديم أن يحافظ عليه، وأن يشهد له دون أن يتّخذ منه حجّة للتباهي.

"مملكة من الكهنة" تفترض أن ينتمي الشعب إلى ربّه بصورة فريدة، من خلال رباط مميّز بين الفريقين. يُعَبَّر عن هذا الرباط بتعابير التملّك. ولكن، بما أنّ الله هو المتكلّم، وانطلاقًا من كونه الحبّ بذاته، تندرج هذه التعابير في إطار لغة الحبّ التي تختصّ بالوالدين عندما يتكلّمون عن أبنائهم ويستعملون ألفاظ التملّك. هذه الكلمات التي تنساب من فم الله هي

(١٠) قد يبدو لنا أنّ فكرة الاختيار تسلّط الأضواء على الأفضليّة، ولكنّها بالحريّ تحمّل المسؤوليّة الملقاة على عاتق المدعو، إذ يُطلب منه الانخراط في مخطّط الله الخلاصيّ، وإلاّ سينزل به العقاب، وعليه أن يتكبّد نتيجة أفعاله (لا ٢٦: ١٤-٣٩).

(١١) تجدر الإشارة إلى أنّ النسخة السبعينيّة قد ترجمت العبارة "مملكة من الكهنة" بـ"كهنوت ملوكيّ"، وهكذا فعل القدّيس بطرس في رسالته الأولى (٢: ٩)، أمّا سفر الرؤيا فيتحدّث عن "مملكة وكهنة" (٥: ١٠)، في حين أنّ لدى الترجمة اللاتينيّة الشعبيّة (*Vulgata*) "مملكة كهنوتيّة".

(١٢) رج أش ٤٢: ٦؛ ٤٩: ٦.

التي تمنح الشعب هويّته، وفيها تنجلي له دعوته ورسالته.

بالإضافة إلى صفة الكهنوت التي تميّز الشعب الذي يعقد الله معه العهد، فهو "أمّة مقدّسة". لا بدّ من التنويه أنّه ما من فرق بين كلٍّ من التعبيرين: "مملكة كهنوتيّة" و"أمّة مقدّسة"، لأنّ المعنى العاديّ للكهنوت له بُعْدٌ مقدّس؛ فالفعل العبريّ קדש (ق د ش) يفترض في الوقت عينه القداسة والتكريس، وبالتالي، من الواضح أنّ مملكةً كلُّ أبنائها كهنة هي بطبيعة الحال أمّة مقدّسة، وعليه، فإنّ تعبير "أمّة مقدّسة" يبدو بدلاً لـ"مملكة كهنوتيّة"[١٣].

## ٢ – مملكة من الكهنة في العهد الجديد

تصف الرسالة إلى العبرانيّين يسوعَ بأنّه عظيم الكهنة الذي يتكلّم مع الله باسم الشعب (٣: ١)؛ إذًا هو الوسيط الوحيد بين الله والإنسان (١ تم ٢: ٥)؛ ليس فقط هو مَن يهبنا كلام الله ويرسل كلامنا إليه، بل هو كلمة الله الحيّة والمحيية. دعوة المسيح هي حجر الأساس الذي يبني عليه كلّ مسيحيّ دعوته، المدعوّ إلى أن يتّحد بربّه لكي يصير مسيحًا آخر من خلال التّشبّه به. من هنا نفهم كلام القدّيس بطرس الذي يتوجّه الى المعمّدين المولودين حديثًا قائلاً لهم: "إقتربوا منه، فهو الحجر الحيّ الذي رذله الناس، فاختاره الله، وكان عنده كريمًا. وأنتم أيضًا، شأن الحجارة الحيّة، تُبنَون بيتًا روحيًّا، فتكونون جماعة كهنوتيّة مقدّسة، كيما تقرّبوا ذبائح روحيّة يقبلها الله عن يد يسوع المسيح... أمّا أنتم فإنّكم ذرّيّة مختارة وجماعة المَلِك الكهنوتيّة، وأمّة مقدّسة، وشعب اقتناه الله، للإشادة بآيات الذي دعاكم من الظّلمات إلى نوره العجيب" (١ بط ٢: ٤–٥، ٩). في هذه الآيات التي تتكلّم عن الجماعة الكهنوتيّة، نجد أكثر من لفظة تدلّ على ما تقوم به الجماعة الكهنوتيّة؛ فالمطلوب منها أولاً هو الاقتراب من الحجر الحيّ، الذي هو يسوع المسيح. منذ أن أعلن بطرس إيمانه بالمسيح، "يا ربّ، إلى مَن نذهب وكلام الحياة الأبديّة عندك" (يو ٦: ٦٨)، أصبح المسيحيّون يُعرَفون بأنّهم "الذين يتقرّبون بالمسيح إلى الله"[١٤]. بعدها تأتي الصورة المألوفة في الكتاب المقدّس، وهي الإشارة إلى المسيح بالحجر[١٥]، لتذكّر بمادّة البناء المستعملة في أيّام يسوع والرسل، وكانت تتميّز بالصلابة والثبات[١٦]، على أنّ الحجارة الكبيرة كانت تستعمل لوضع الأساس، أو كنقطة ارتكاز في الزاوية لتدعيم التقاطع بين الحيطان. بالرغم من أنّ العهد القديم كان يُطلق لقب "الصخرة" على الله، فالابتكار هنا يأتي عندما يُنعَت المسيح بـ"الحجر الحيّ"، ذلك أنّ الحجر يرمز عادة إلى الجماد والموت. منذ أن طبّق يسوع على ذاته نبوءة "الحجر الذي رذله البنّاؤون"[١٧]، أصبح الحجر الأكثر قيمة، والذي لا غنى عنه بين سائر الأحجار. وبما أنّ المسيحيّين يتحوّلون إلى صورة الربّ[١٨]، من الطبيعيّ أن يتّخذوا شكل الحجارة الحيّة، لكي يندمجوا في البنيان عينه، فيغدون جزءًا متمِّمًا لمشروع البناء، هم المنحوتون من الصخر والمقتلعون من المقلع[١٩]. عندما ينضمّ المعمَّدون إلى الكنيسة من خلال سرّ المعموديّة، يغدون كالحجارة في الهيكل، فيشكّلون جسدًا من الكهنة أو عائلة كهنوتيّة، فيصبحون معبدًا مكرّسًا لعبادة الله، أي جماعة عابدة

(١٣) رج تث ٧: ٦؛ ١٤: ٢.
(١٤) عب ٧: ٢٥؛ را ٤: ١٦.
(١٥) رج ١ بط ٢: ٦–٧.
(١٦) رج مت ٧: ٢٤–٢٥.
(١٧) رج مز ١١٨: ٢٢.
(١٨) رج ٢ كو ٣: ١٨.
(١٩) رج أش ١: ٥١.

بالـروح والحقّ. في هـذا المعبد يحتلّ المسيـح مكانًـا منقطع النظيـر، ويقوم بدور متفوّق وتأسيسيّ بالنسبة إلى سائر الحجـارة الحيّة التـي ترتكز عليـه. ثمّ يقـارن القدّيس بطرس الحياة المسيحيّة بالليتورجيّـا التـي تصعـد مـن الهيكل "قربانًـا وذبيحة لله طيّبـة الرائحة" (أف ٥: ٢)؛ إنّهـا شهادة اشتراك المؤمنين في كهنوت المسيح، فهم ينشرون مواهب الله، بواسطة صلاتهـم التي تتّسع لتطال احتياجـات العالـم علـى مثـال صلاة المسيح الكهنوتيّة التي سبقت آلامه.

تعني دعوة المعمّدين الكهنوتيّة جميع المؤمنين بالربّ يسوع؛ فكهنوتهم يؤهّلهم أن يقدّموا حياتهم لله، ومواهبهم وانهماكاتهم اليوميّة باتحادهم بذبيحة المسيح الفدائيّة [٢٠]. سينطلق العهد الجديد من هذه الدعوة الخاصّة ليعطيها بُعْدًا كونيًّا. كلّ معمّد قد نال مسحة زيت الميرون، قد امتثل للمسيح، وصار مسكنًا روحيًّا وكهنوتًا مقدّسًا. على مثال المسيح، يقدّم المعمَّد حياته للآب، إله الحبّ، الذي يهدف أن يُدخلنا في حميميّته لكي نتعرّف عليه ونعيش به إلى الأبد. بيسوع المسيح قد ولجنا العهد الجديد والأبديّ المختوم بدمه. إنّ قراءة ١ بط ٢: ٥، ٩ على ضوء رؤ ١: ٦؛ ٥: ١٠؛ ٢٠: ٦، تجعل من الكنيسة جماعة كهنوتيّة وملوكيّة. وعليه، فكلّ مسيحيّ هو في الوقت عينه كاهن وملك لأنّه ينتمي إلى عائلة الله، ويحقّ له أن يشاركه الكرامة، وأن يقترب بكلّ جسارة من قصر الله الملكيّ، كما يقترب الكاهن من المذبح الذي هو عرش الله.

يؤسّـس المجمـع الفاتيكانـيّ الثاني تعليمه العقائـديّ حول كهنوت العهـد الجديد على مفهـوم "التكريس والرسالـة" [٢١]؛ فالتكريس أو التقديس هـو ميـزة يتحلّى بهـا المسيـح [٢٢]، الـذي مُسـح بـروح الـربّ، بصفتـه ملـكًا وكاهنًـا ونبيًّـا [٢٣]. لقـد حقّق يسـوع الرجـاء المسيحانـيّ لإسرائيل على ثلاثة أصعـدة: الكهنوت والنبوءة والملكوت؛ فمنذ ولادته، بشّر الملاكُ الرعاةَ بولادة المسيح المنتظَر في مدينة داود (رج لـو ٢: ١١)، كما كان قد حُبل به مـن الـروح القدس، ولذلـك فهو قدّوس [٢٤]، ولهـذا طلب ملاك الربّ مـن يوسف أن يأخذ مريم إلى بيته، لأنّ الذي كُـوِّنَ فيها هو من الروح القدس، وهـو الـذي سيولـد مـن سلالـة داود الملـك [٢٥]. وفي ما بعد، بـدأ يسوع إعلان الإنجيل مـذ سمع صوت الآب يقـول له: "أنـت ابني الحبيـب" [٢٦]. كونه ابنَ الله، تقوم رسالته على الشهادة لحـبّ أبيه. لقـد أحبّه حتـى كابد آلام المـوت علـى الصليب، ولكـن عندما قام من الموت، جعلـه الله ربًّا ومسيحًا وكاهنًا الى الأبد [٢٧].

فـي قلـب المملكـة الكهنوتيّة التي يدخلها المؤمنون بالمسيح من خلال سرّ المعموديّة، نجد دعوة خاصّة لكهنوت الخدمـة، المعبَّـر عنه فـي الرسالـة إلى العبرانيّين: "فـإنّ كلّ عظيم كهنة يؤخذ من بيـن الناس، ويقـام من أجـل الناس في صلتهم بالله، ليقـرِّب قرابين وذبائح كفّـارة للخطايـا" (٥: ١). فمـن جهة، يتلقّى الكاهن النعم من الله ليوزّعها على

(٢٠) "إنّي أناشدكم إذًا، أيّها الإخوة، بحنان الله، أن تُقرّبوا أشخاصكم ذبيحة حيّة مقدّسة مرضيّة عند الله؛ فهذه هي عبادتكم الرّوحيّة" (رو ١٢: ١). هذا، وإنّ كلمة "ذبيحة" تفترض الألم على مثال المسيح: "أمّا وقد تألّم المسيح في جسده، فتسلّحوا أنتم بهذه العبرة، وهي أنّ من تألّم في جسده كفّ عن الخطيئة" (١ بط ٤: ١–٢)، ولكنّ الألم لا يتوقّف هنا لأنّ مَن يشارك المسيح في آلامه، يكون في فرح وابتهاج حين يتجلّى مجدُه (١ بط ٤: ١٣).

(٢١) دستور عقائديّ في الكنيسة، **نور الأمم**، ٢٨، قرار مجمعيّ في حياة الكهنة وخدمتهم ورعايتهم، "الدرجة الكهنوتيّة"، ٢.

(٢٢) "المسيح" يعني الممسوح بزيت التكريس؛ لم تصبح صفة "الممسوح" اسمًا عَلَمًا ليسوع إلاّ لأنّه قام برسالته الإلهيّة على وجه تامّ.

(٢٣) رج أش ١١: ٢؛ زك ٤: ١٤؛ ٦: ١٣؛ أش ٦١: ١؛ لو ٤: ١٦–٢١.

(٢٤) رج مت ١: ٢١؛ لو ١: ٣٥.

(٢٥) رج مت ١: ١٦؛ وأيضًا رو ١: ٣؛ ٢ طيم ٢: ٨؛ رؤ ٢٢: ١٦.

(٢٦) رج مر ١: ١١–١٥.

(٢٧) أع ٢: ٣٦؛ عب ٥: ٦؛ ٧: ١٧–٢١.

المؤمنين، ومن جهة أخرى، يقدّم أمور الدنيا إلى الله ليقدّسها. وعليه، يصبح الكاهنُ الوسيطَ بين الله والبشر على مثال المسيح الوسيط، فيشكّل جسرًا بين الله والشعب؛ فهو بالتالي امتداد حيّ لدور المسيح النبع الحيّ، منه يستقي ماء الحياة ويوزّعها على الآخرين، كما أنّه يعرّض نفسه للمسيح الشمس، ليعكس نوره على العالم ويجذب الناس إليه [٢٨]. بكلمة، يصبح دور الكاهن أسراريًا، أي أنّه يصبح علامة حضور الله بين البشر.

في مملكة الكهنة التي أسّسها الربّ يسوع، يوجد تمايز أساسيّ بين كهنوت المؤمنين العامّ وكهنوت الخدمة، لكنّهما يتلاقيان الواحد بالآخَر بحيث إنّ كليهما يشترك في كهنوت المسيح الواحد. ينتج هذا التمايز الرئيسيّ بين كهنوت الخدمة والكهنوت العامّ عن غنى كهنوت المسيح عينه ووفرته المتدفّقة، هو الينبوع الوحيد الذي يستقي منه المعمّدون، كلٌّ على حسب امتيازه الخاصّ. المسيح يسوع هو الذي يضفي عليهم الصفة الكهنوتيّة، وبعيشهم لها يهبهم النموّ على مقدار قامة المسيح. تعبّر هذه الهويّة الكهنوتيّة التي يحظى بها المعمَّدون عن عظم الكرامة التي ننالها، وعن الحالة الملائمة لقبول مواهب الروح القدس باتّضاع، ولإيصال ثمار الحبّ والسلام إلى الآخرين. أن نكون "مملكة من الكهنة" يعني أن نكون خدّام المسيح ووكلاء أسرار الله. لكي نحافظ على بهاء وديعة الكهنوت، لا بدّ من الصلاة التي تعين على عدم فقدان النور الذي اجتذبنا منذ بزوغ حياتنا الكهنوتيّة، والذي يشدّنا دائمًا إلى الله، ويعيننا لنجذب الآخرين إليه.

## خاتمة

هل نغالي إذا قارنّا خر ١٩ بمراسم زفاف بين الله وشعبه، بحيث لا تنقص العناصر المكوّنة لهكذا احتفال؟ أوّلاً، نجد التعهّد المطلوب من الرجل والمرأة اللذين يُعلنان ارتباطهما ببعضهما، فيدخلان في علاقة جديدة بديعة، ثمّ نجد كلّ التهيئات التي تسبق حفلة الزفاف (تنظيم، تخطيط، استحمام، تجميل، إلخ). عادة، لا يرى العريس عروسه قبل إتمام مراسيم الزفاف بغية مضاعفة إحساس الانتظار، ومن ثمّ تجري الحفلة في جوٍّ عابق بالفرح والنشوة. ألا يمكننا تبيان هذه المراحل في خر ١٩؟ ففي مرحلة أولى يفصح الربّ عن بغيته إقامة علاقة فريدة مع العبرانيّين، من خلال تمييزهم وفصلهم عن سائر الأمم؛ وفي مرحلة ثانية يعرض لنا التحضيرات المستلزَمة للمثول أمامه؛ وأخيرًا، يعبق الجو كلّه ببهاء الله وعظمته، إذ يُظهِر نفسه لشعبه على الجبل. إنّها النهاية العظمى: تجلّي الله في كلّ عظمته وقدرته وقداسته.

تجد رموز العهد القديم كمالها في المسيح يسوع، والزفاف الحقيقيّ قد أتمّه هو الكاهن والذبيح عندما جاد بنفسه من أجل عروسه الكنيسة ليقدّسها مطهِّرًا إيّاها بغسل الماء، فيزفّها إلى نفسه كنيسة سنيّة لا دنس فيها ولا تغضّن (...)، بل مقدَّسة بلا عيب (أف ٥: ٢٥-٢٧)، وبهذا جعل من الكنيسة "مملكة من الكهنة لإلهه وأبيه" (رؤ ١: ٦).

(٢٨) رج يو ٧: ٣٧-٣٨؛ ٨: ١٢؛ ٩: ٥؛ ١٢: ٣٥-٣٦؛ مت ٥: ١٤-١٦.

## المراجع


المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، **الوثائق المجمعيّة**، دار الكتاب المفضّل، ١٩٨٩.

AUZOU G., *De la servitude au service,* Paris 1961.

BARSOTTI D., *La spiritualité de l'Exode*, Paris 1982.

CAZEAUX J., *L'Alliance. Tu seras mon peuple*, Paris 1985.

SPICQ C., *Les épîtres de saint Pierre*, Paris 1966.